

تبين النص والسيلان الحر للمعنى

من خلال "لذة النص" لرولان بارت .

مديحة دبابي

جامعة سطيف (الجزائر)

في لذة النص، يحاول رولان بارت Roland Barthes (1915-1980) الأخير أن يعيد النظر في النص - بعد الطرح البنيوي - بانخراطه في نقد البنيوية ورؤيتها الدغمائية للنص؛ التي تعتبرالنص بنية مغلقة على ذاتها ومكتفية بذاتها، مواكبا في ذلك حركة التفكير لأنساق الفكر الغربي، خاصة بعد أحداث ماي 1968. ولعل ما يهم هنا هو فضح وهم البنية المغلقة على ذاتها، والكشف عن البنية الأساسية لهذه البنية، والتي تتعالق بها وتتفاعل معها، حيث لا يمكن فصل النص عن باقي النصوص في إطار البنية الاجتماعية والتاريخية المنغرس فيها. فينسج معها علاقات دلالية تجعل المعنى يفيض عن حدود البنية النصية، ساعيا إلى خلق وجوده الخاص والفريد موقعا على خصوصيته ضمن النسق الذي تكوّن فيه، فبارت يرى أنّ حركة النَّص «هي العبور والاختراق»⁽¹⁾.

ومن ثم يغدو سؤال القراءة والنقد هو كيف تكوّن النص؟ كيف تشتغل هاته البنية من الداخل؟ ماهي إحالاتها؟ وكشف العلاقات الدلالية بين هذه البنية وباقي النصوص، واستكشاف تضاعيف النَّص، وفض مستغلفاته ومجاهيله، والإبحار في لا نهائية النَّص، والنقاط الوشم الذي تركته كل تلك النصوص على هذه البنية النصية، من خلال تتبع تاريخ تكوّن النص وتخلّقه، حتى يظهر في شكل نهائي أو مايعرف بالنص الظاهر؛ بمعنى تتبع تعالقات النَّص التحتية، وملاحقة آثار النصوص الموشومة داخل هاته البنية الكبرى، أو العلامة الفوقية؛ بوصفها ممارسة إنتاجية بالأساس بين النص والرحم الذي تخلّق فيه، وتعالق قيل أن يخرج منه، ليؤسس لحياته الخاصة. وهو ما يعني أن النص يمارس بفاعلية الامتصاص والتحويل والتعديل لتلك المدونة التي يغرف منها .

يتكوّن النص تاريخيا في عملية توليدية يتبنين فيها النص خلقا من بعد خلق كائننا آخر، فلا يمكن استيعابه خارج النسق التاريخي والاجتماعي الذي ساهم في تشكيله « اللغة ليست بريئة على الإطلاق، فلكلمات ذاكرة أخرى، تغوص في عمق الدلالات الجديدة بطريقة عجيبة.»⁽²⁾ ولهذا يعنى التحليل النصي بإدخال النص داخل سياقاته التاريخية، عبر جدلية خلاقة تسهم في خلق النص لمرجعياته الخاصة، التي تصوغ فرادته في إطار البنية الشاملة التي ينتمي إليها ، يصبح من خلالها النص أثرا (trace) لنصوص سابقة تشتغل تحتيا في هذا النص الظاهر، فهي دمغات وبصمات، تظهر في النص كالطيف، تلوح كشبح يسكنه، و ترفرف في خلفية النص.

يتحدد النص عند بارت في كتابه "لذة النص" بجملة من المفاهيم تحدد كنه وماهيته بما هي وجوده فهو: نسيج، متن ومدونة، جسد، ساحة عمومية، لغة كل اللغات، بعض لغة، يقع خارج اللغات، بابل سعيدة، النص جهاز يعيد توزيع نظام اللغة ... فالنص جسد أي بنية رمزية وتاريخية، وهو ساحة عمومية متعددة الأصوات، وهو بابل سعيدة

تتساكن فيها اللغات جنباً لجنب، من غير أن تكون هناك لغة أصلية ولغة ثانوية، نسيج من الاستشهادات واللغات والملصقات الثقافية، التي يمتصّها، ثم يحولها، ثم يعيد إخراجها مخرج الجديد، إذ يشكل أداء النص خلخلة للتصنيفات الميتافيزيقية، ويسقط مقولة "الأجناس" فهو الفكاهي الذي لا يضحك، يقع خارج اللغات أو هو بعض لغة أو لغة كل اللغات (3). وهو ما يجعل النص يفلت من أن يكون إيديولوجياً بهاته الأصداء واللغات الثقافية المختلفة المحملة في داخله، حيث يصنع النص ذاته عبر تشابك دائم مع تلك النصوص، فينسخ معها علاقات دلالية، وتعالقات تحتية رغائبية في عالمه الداخلي الدلالي، الذي يقوم على صراع جدلي مع البنية الاجتماعية والتاريخية التي نشأ فيها، إذ أن الوجود- في-العالم يعني دخول الجسد/النص في علاقات مع الآخرين، أي بما هو وجود اجتماعي، حيث يصوغ النص/الجسد خصوصيته عبر أدائه الجسدي أو وجوده الفعلي في العالم، والتي تماثل النمو الليبدي للكائن الذي يتشكّل تاريخياً انطلاقاً من الجدلية بين الخيالي والرمزي، فيدخل الفرد في علاقة مع محيطه، بحيث تسهم هاته الجدلية في بناء شخصية الفرد، وهي هنا النص الظاهر الذي يعد سيرة تاريخية، وبنية تتبين خلفاً من بعد خلق.

1 . المماثلة بين النص و الجسد:

تأكيداً منه على جودة الإصغاء، يلتفت بارت إلى رنين جناسي بين النص، المتن، المدونة (corpus)* والجسد (corps) فالنص جسد له صورة بشرية. « يمكن أن نتصور حصاداً جماعياً هائلاً قد تجمع فيه كل النصوص التي حدثت أن لذت لأحد (من أي محل أنتت منه هذه النصوص) ويظهر فيه للعيان هذا الجسم النصي (متن corpus): وهذه تسمية حسنة) وذلك على وجه التقريب كما يعرض التحليل النفسي الجسد الإيروسى للإنسان (4) ويقول أيضاً "النص صورة بشرية هل هو صورة تجسدية له و جناس خطي؟ نعم ولكنه كذلك بالنسبة إلى جسدنا الإيروسى.» (5) وتأكيداً على الخروج عن المركزية الغربية يأخذ "بارت" هذا الجنس من الثقافة الشرقية، والمرجعية العربية خصوصاً إذ يقول بارت: «يبدو أن علماء العرب استعملوا وهم يتحدثون عن النص العبارة الرائعة التالية "المتن (الجسم الصحيح)" (6) إن هذه النصوص لبارت تفصح عن رؤية وجودية للنص، فقولته إن النص جسد، هو بمعنى آخر إن النص وجود متعين خصوصي وفريد، بل الوجود في صورة جسدية هو ما يمكن الكائن من الوجود في العالم ومع الآخر. إذ أن « وجودك في العالم يعني أن يكون لك جسد، أو أن تكون جسداً أو أن تتجسد... وليس في وسعي أن أكون في العالم إلا من خلال وجودي في صورة جسدية، فمن خلال الجسد أدرك الأشياء والأشخاص الذين يتألف منهم العالم ومن خلال الجسد أكون قادراً على التأثير فيهم وبالعكس يكون في استطاعتهم التأثير فيّ » (7) بمعنى أن الإنسان يتمكن من الوجود في العالم من خلال الجسد، فأنا جسد يعني أنني مرئي كفرد متعين. فالكائن البشري موجود في العالم من خلال الجسد الذي يصوغ فرادته، ومن خلال الجسد يمكن الإنسان من الدخول في علاقات مع الغير، الموجود معهم في العالم. إذ أن الجسد مقولة أنطولوجية، وهو ما يعني خصوصية أو الوجود العيني المقابل للوجود الماهوي الكلي، يوجد الكائن في العالم بتجسده الذي هو هنا الدال/جسد النص المادي. ومن خلال الوجود الجسدي يتم فصل الجسد مع عالمه وينخرط فيه

الغاية من المماثلة هي إلحاح "بارت" على جسدية النص، وكثافته التعبيرية، وإيماءاته؛ أي الجانب المحسوس والملموس، الذي هو الدال باعتباره الجانب المادي الذي يتشكل منه النص ويصوغ حضوره الخصوصي ومرجعياته

الذاتية أمام النسق المتحكم في إنتاجه، أي اللسان، خاصة الجانب الخيالي « يقبل جسدا المقارنة بينه وبين العمل الفني، إنه مركب من الدلالات الحية وليس فقط نظاما من الألفاظ المتغيرة وتبعاً لهذه العلاقة يستعير النص من الجسد حساسيته وخاصيته الإيحائية والرمزية، ويتخذ منه نموذجاً لتغاممه الداخلي وانسجامه الدلالي والفني.»⁽⁸⁾ يستعير النص من الجسد: التصوير والإيحاء والإيماءات الجسدية. والتاريخ؛ أي ليس بينة لا زمنية وهما أبرز ما يجعل النص يختلف عن المنظومة التي تشكل فيها فهو صيرورة تاريخية. وإذا فالتعامل مع النص بوصفه جسدا يعني «البحث عن نوعيات صياغته الثقافية التي يتداخل فيها بقدر كبير الخطاب التخيلي ببلاغته وأسلوبه واستيهاماته والحقيقة التاريخية بوصفه واقعة ثابتة ومؤرخة، إن الجسد إذا كان لا يملك حقيقة فهو مع ذلك يملك تاريخاً هو ذلك التاريخ الجهوي الذي دعا ميشيل فوكو وجاك دريدا بوصفه تاريخاً لا يتسم بالشمولية بقدر ما يتسم بالخصوصية والانغراس في تربة الوعي واللاوعي الجماعي الذي يسم مراحل معينة.»⁽⁹⁾ الجسد إذا كيان ثقافي وبناء رمزي وتاريخي فريد، لا ينقل المعنى الواقعي يتكلم بالإيماءة وبالتلمييح لا بالتصريح تصوير يكتنز ظلالاً دلالية . إذ أن لغة الجسد هي لغة تعبيرية رمزية تاريخية ، اللغة- الإيماءة والإيحاء «هذه الإيمائية هي مصدر لذاتك كبيرة»⁽¹⁰⁾ كلمات لها رنة موسيقية/الجناس، لها حركات راقصة/ لعب لغوي، كلمات لها تاريخ/ لها أصدااء... «لغة الحياة والجسد، إذن لغة استعارية، يتقاطع فيها الإدراك مع الإنصات، والفهم مع الذوق»⁽¹¹⁾. اللغة الحسية ، اللغة الحركية أو ما يشكل حركية اللغة (الجانب الخيالي الاستيهامي للغة)

إذا كان الجسد هو المكون للوجود البشري، فإن الدال هو المكون للنص. فالأهمية هي فعل الدال أو أداء النص الذي يتمكن من جعل النص قابلاً للإدراك الحسي واشتغال جسد القارئ. لأن الوجود العيني للنص كجسد يعني إمكانية إدراكه بالحواس؛ أي لمسه وشمه وتذوق عباراته، كلماته، جملة، أصداؤه... ولكن "بارت" لا يقف فقط على النص كجسد بل جسد إيروس، فهو ينتقل إلى هامش الهامش، فهل لهذا النزوع الجنسي من دلالة ما، من خلالها يمكن أن نقول أن النص يحتفي بالآخر، أين تخلق اللغة علاقة بالآخر؟. إنما يسكت عنه هذا القول هو محاولة «دمج النزعة الجنسية مع الوجود الإنساني»⁽¹²⁾ و في المقابل دمج النص بالباقي الهامشي أو ملحقات النص .

يضيع النص درجة تماثل الواقع واللغة فلا ينقل المعنى، ولا يسمى الأشياء وإنما يخلقها من جديد. إذ يكرس النص هذا الغياب والنسيان للمعنى الأصلي فالنص يقول "بارت" يهاجم القانون النحوي للغة، ثم إنه يفكك التسمية؛ أي النص لا يسمى الأشياء فكل علامة لا تحيل إلى مدلول مرجعي واقعي، فالكلمات لا تريد أن تكون "هو ذاك" إنما توجد وجودها المفرد العيني هناك⁽¹³⁾ ينجز النص ذاته من خلال حركاته وإيقاعاته التي تتباعد به عن التماثل مع المعنى القاموسي، إذ تخرج الألفاظ والكلمات عن دلالتها الأصلية، وتوجد وجودها الآخر هناك تتبثق من خلفية ما، من الخواء من الأماكن المعتمة. فالكلمات تنسى الدلالة الأصلية، ثم إنها تلعب بقوانين اللغة، إنه الإثم والانحراف المضاعف.. هذا الإنتهاك للغة والتفكيك للتسمية، وإزاحة سلطة المعنى المرجعي، هو ما يضمن «تولد الدلالة»⁽¹⁴⁾ و يدين النص من المتعة بحسب "بارت"

النص له شكل مهلوس La forme hallucinée du texte⁽¹⁵⁾ وهنا يماثل بارت بين النص والأوديب ذلك البطل الذي لا يعرف الأسماء» يسر إلي (أ) بأنه قد لا يطبق أن أمه كانت متهنكة ولكنه قد يحتمل ذلك من أبيه ويضيف: هذا غريب، أليس كذلك؟ ويكفي اسم لوضع حد لاندھاشه :الأوديب! إن (أ) ليدنو في نظري من النص، إذ

النص لا يسمى الأشياء بأسمائها-أو ينتزع الأسماء الموجودة إنه لا يقول...فلا اسم لا يحضر على طرف اللسان بل هو مجزأ إلى ممارسات وإلى كلمات ليست أسماء...إن النص في ذلك يفكك التسمية وهذا التفكيك هو ما يدينه من المتعة»⁽¹⁶⁾ فالقارئ يقرأ نصا غير حقيقي لا يعرف حقيقته . فالهلوسة تهتك/تشوش الخط الفاصل بين الخيال والواقع، برسم صورة لا تكون حقيقية بأي حال من الأحوال. ومن ثمة لا ثقة فيما يقوله النص.

ولما كان النص جسدا فإن له التكوين النفسي و الأنطولوجي ذاته للكائن « النص صورة بشرية هل هو صورة تجسدية له وجناس خطي؟ نعم ولكنه كذلك بالنسبة إلى جسدا الإيروسى فلذة النص لا تقبل أن تختزل إلى عملها النحوي (عملها النحوي المتعلق بالنص-الظاهر)، وذلك مثلما أن لذة الجسد غير قابلة لأن تختزل إلى الحاجة الفسيولوجية . لذة النص هي تلك اللحظة التي يسير فيها جسدي وراء أفكاره الخاصة - ذلك لأن جسدي ليس له نفس أفكاري «⁽¹⁷⁾ لأجل ذلك لابد من إلقاء نظرة على التكوين النفسي والأنطولوجي للكائن من أجل سبر نشوئية النص. ووجوده المتجسد، الذي ينبغي على القارئ أن يحلله ويفسفه. بمعنى أن للنص مرجعية ذاتية لا يمكن أن نفهمه إلا من خلال فينومينولوجيا تنفذ إلى عمقه و باطنه. لتسبر ما به يكون النص فريدا وما هي خصوصيته.

النص/الجسد هو نظام متماسك على المستوى الظاهر، ونسق متفاعل عضويا يتكون من عناصر ومكونات وعلاقات تستمد مكوناتها من النظم العليا السوسيو ثقافية والتاريخية، فهو ليس ببنية مغلقة على ذاتها، بل بنية مفتوحة على النسق الثقافي المنغرس فيه، وهذا ويتشكل النص من نص ظاهر* "Phino-texte" ونص باطن، تكوين، خلق "Géno-texte" إي النص مزدوج، ولا يمكن إظهار خصوصيته من غير تجاوز النص الظاهر/الجسد العلمي للنفذ إلى النص الباطن الذي ينتج هذا النص في سيرورة خلافة من خلاله يندمج الكائن/النص في العالم: « لدينا أجسام عديدة، جسم التشريحيين، وجسم علماء وظائف الأعضاء ذلك الجسم الذي يراه العلم أو الذي يتكلمه: إنه نص النحويين والنقاد والشراح وفقهاء اللغة (النص الظاهر) غير إن لدينا أيضا جسم متعة، وهو جسم مصنوع من العلاقات الإيروسية وحدها لا صلة له بالجسم الأول: إنه تقطيع آخر وتسمية أخرى كذلك النص. «⁽¹⁸⁾ و الحديث عن الجسد إيروسيا يذكّر بالتنازل وحركة النص/الجسد عند التحام الكائن بالعالم والاندماج فيه، ومن ثمة يكون حوله خبرة وجودية داخلية شخصية، تجعل بمقدور الكائن التعايش مع عالمه المتغير. فهذا النص الباطني المسكوت عنه، الهوامش، الصور و الخيال، الملحقات... هي التي تجلي تكوين النص وتمنحه معطياته التاريخية و الاجتماعية العليا التي تشابك معها.

2 . النص نسيج وشبكة من النصوص المتداخلة :

يصدر لنا "بارت" بعضا من أبرز مقولاته وأشهاها: النص نسيج العنكبوت : كلمة texte (نص) تعني النسيج tissu⁽¹⁹⁾ الذي لا يكمن خلفه معنى ، ذلك أن النص نسيج من الاقتباسات، والاستشهاد، والملصقات الثقافية، فهو نسيج لغات، شبكة من النصوص متداخلة ، كتناص Intertextualité. النص ممارسة نسج نصوص ؛بمعنى هو منسوخ من وفرة لا نهائية من النصوص ما يجعل الحضور الامبريالي للمعنى مستحيلا «نشدد داخل النسيج على الفكرة التوليدية، التي ترى إلى النص يصنع ذاته ويعتمل ما في ذاته عبر تشابك دائم ولو أحببنا استخدام الألفاظ لأمكننا تعريف نظرية النص بأنها علم نسيج العنكبوت(hyphologie) (hyphos) هو نسيج العنكبوت) «⁽²⁰⁾

والتفكير في تشكل النص من هذا الشتات النصوصي إلى أن صار نصا واحدا/نصا ظاهرا/ علامة فوقية. هو ما يجعل بارت يفكر في الاسطورة البابلية⁽²¹⁾ أو ما يعرف بالبلبله، فلم يعد عقابا ذلك التعدد واختلاف الألسنة، فالتعدد ليس عقابا ليس خطيئة « نص اللذة هو بابل سعيدة» فكما يذكر في قصة البلبله ،جاء تعدد اللغات نتيجة خطيئة الإنسان، الذي أراد بلوغ السماوي، والتساوي بالرب ما ترتب عليه هذا العقاب لكن التعدد داخل النص بالنسبة إلى بارت ليس خطيئة؛ بمعنى لا تحتاج إلى تكفير أو شعورا بالذنب، والإضافة الأخرى أنه لا توجد لغة أصلية، إنما هناك تناسخ لا يوجد أصل، ومن جهة أخرى :التأكيد على الرغبة اللا محدودة للكائن /المادي، لبلوغ السماوي /الإلهي، أي تحقيق الخلود والحلول مقام الإله. يصبح النص فضاء مفتوحا على التعدد والتردد،ساحة عمومية نسيج خيوط وملصقات ثقافية. لأجل ذلك يصبح التعدد الدلالي، والتداخل النصي، أو هذه البلبله اللغوية في النص، هي ما يشكل متعة، وليس الخطيئة والشعور بالذنب، أين تدخل وتعبّر تلك اللغات والنصوص الثقافية، إلى داخل النص من غير أن تكون هناك لغة أصلية بينها.فالتحول من لغة الإله إلى لغات مختلفة، ليس لعنة بل حرية في إنتاج المعنى وإعطاء الإنسان الثقة في نفسه من أجل الإنتاج، وعبور لمقام المبدع، والرغبة في التشبه به والتماهي به فبعد تحية الإله/المؤلف والإعلان المنتشوي عن موته، هناك فسحة في الخلق والإيجاد والتكوين، فتصبح له صورة الإله الخالق. وهو ما يعضد أن النص لا هوية له،خاصة بعد إقراره بأن النص نسيج من لغات مختلفة، بلا مركزية لغة ما، ليعلن موت المؤلف وسقوط أبوته على النص.

3- النص ذلك اللقيط الذي لا هوية له :

يفتقر النص إلى هوية فهو عبارة عن نسيج من النصوص و الشذرات معاصرة أو قديمة، فليس له أصل ثابت قار بل منسوخ، أو أوديب الذي لا يعرف من يكون، ويبحث عن والديه، وعن حقيقته، إنها ذلك اللقيط كمايرى بارت«تتفك الذات وسط هذا النسيج- هذا النسيج texture- ضائعة فيه،كأنها عنكبوت تذوب هي ذاتها في الإفرازات المشيدة لنسيجها.»⁽²²⁾ ويقول في مقطع آخر : «المؤلف يضيع دائما وسط النص (لا وراءه على شاكلة إله من آلهة...) لقد مات المؤلف من حيث هو مؤسسة: اختفى شخصه المدني، والغرامي،السيرري.ولما جرد من كل ما لديه فإنه لم يعد يمارس على مؤلفه تلك الأبوية الرائعة، التي تكفل كل من تاريخ الأدب والتعليم بإقرار سردها. »⁽²³⁾ مات المؤلف/ الأب وتحرر من النص من كل الأسئلة عن الأصل والهوية بموت الكاتب في نصه .

ولعل بارت هنا يجد أن العلاقة التي ينسجها النص مع باقي النصوص هي علاقة أوديبية، فالنص يقترب من أوديب له رغبة محرمة تحريما مضاعفا: رغبة قتل الأب من جنسه والزواج بالأم من الجنس الآخر : «سوف ينتزع موت رمز الأب من الأدب كثيرا من لذاته، فإذا لم يعد هناك رمز الأب فما جدوى حكي الحكايات؟ أليس كل سرد يعود إلى الأوديب؟أليس الحكي هو بحث الحاكي عن أصله، هو قول منازعاته مع القانون، هو الدخول في جدلية الحنان والكراهية؟ واليوم يتخلص دفعة واحدة من الأوديب ومن السرد: فما عاد أحد يحب، ولا عاد أحد يكره، ولا عاد يحكي أبدا.لقد كان الأوديب بوصفه متخيلا يصلح لشيء ما: يصلح لكتابة روايات جيدة، وللحكي الجيد.»⁽²⁴⁾

تلخص الأسطورة اليونانية "الأوديب" التجاوز وتعدي الحدود والنتيه:ذلك الذي قتل والده، وتزوج أمه، فلما أبصر الحقيقة، فقا عينيه، وناه في المجهول.حكاية تراجيدية ترتيب التيه فيها يبدأ من الصراع مع الأب، والذي يتم بقتله، وقطع رأسه. والأب هنا رمز: القانون،الأصل،السلطة. ثم انتهاك الحرمات أي الزنا بالمحارم: الزواج من الأم. لحظة

إبصار الحقيقة هي لحظة العمى، أين يفتأ عينيه، ويسير هائما/تائها في الأرض فأوديب اخترق مناطق اللامفكر فيه فكانت نهايته تراجيديّة مأساوية.

من خلال أسطورة أوديب فسر "فرويد"²⁵ الكثير من الحالات المرضية، وسميت في علم النفس بـ "عقدة أوديب" (complexe d'Œdipe): «إنها الجملة المنظمة من رغبات الحب والعداء التي يشعر بها الطفل تجاه والديه، تظهر هذه العقدة في شكلها المسمى إيجابيا كما في قصة أوديب - الملك أي: رغبة في موت المنافس وهو الشخص من نفس الجنس، ورغبة جنسية في الشخص من الجنس المقابل... تلعب عقدة أوديب دورا أساسيا في انبناء الشخصية وفي توجيه الرغبة الإنسانية». ⁽²⁵⁾ فهاته العقدة تنطوي على رغبة محرمة تحريما مضاعفا-رغبة قتل الأب، ورغبة الزواج من الأم - بحسب ما تواطت عليه قوانين الطبيعة البشرية وشرائع المجتمع. فعقدة الأوديب هي رغبة مزدوجة في القتل/الهدم والحب/البناء في آن واحد.

يعيق الأب /السلطة/القانون تحقيق تلك الرغبة الجنسية المحرمة، ما يؤدي إلى أقول تلك الرغبة المحرمة. إذ يحتكر الأب جسد الأم ويعتبره مركزا للإنجاب، ويمنع الطفل من التفكير المحرم في جسد الأم عبر التهديد بالخصاء ، حيث تترافق عقدة الأوديب مع خيال/هوام* Fantasmie الخفاء أي الطفل يتخيل نفسه دائما مهددا من الأب، ما يشكل عند الطفل عزوفا عن تلك الرغبة المحرمة، أي تحريم العلاقة الآثمة بالمحارم. مما يؤدي إلى انتهائها بشكل مفاجئ. لأجل ذلك تعد لحظة قتل الأب لحظة حاسمة في نشأة كائن يريد أن يكون⁽²⁶⁾

في الأسطورة، لم تتحقق الرغبة المحرمة إلا بعد قتل الأب، والدخول معه في صراع ومقاومة، حتى يتم قتله وإفصاح المجال للكائن الذي يريد أن يكون. وإسهام هذه الجدلية "الأب والابن" في انبناء الشخصية. لأجل ذلك يقول بارت "إذا انتزع رمز الأب فقد الأدب لذته" ولعل هذا ما يجعل بارت يقول : إنه بحاجة إلى صورة الأب /الكاتب" بيد أنني أرغب في المؤلف على نحو ما داخل النص: إنني بحاجة إلى صورته (وهي ليست تمثالا لي ولا إسقاطا) كما أنه بحاجة إلى صورتي». ⁽²⁷⁾ إن ما يريد بارت الالتفات إليه أن التخيل الذي يحدث في نفس الطفل نتيجة الخوف من الأب والصراع الداخلي هو ما يضمن فاعلية الذات. وثانيا يبدو أن تحقيق الرغبات اللاواعية /المحرمة لا تسلك الطرق المباشرة، بل طرقا ملتوية. لكن الإشكال الذي يبدو أن "بارت" يحاول توجيه النظر إليه كيف نتقادي ونحن نشكل ونبني الذات تلك النهاية المأساوية؟.

تلخص هاته الأسطورة السؤال الأنطولوجي للكائن الذي يبحث عن أصله وحل ألغاز الوجود الكبرى، أمام إشكاليات وجودية من قبيل: الخطأ، الذنب، والاعتراب والعقاب. كيف أوجد في العالم على نحو مختلف، كيف أجد خلاصا من عالم كثر فيه المتناقضات؟ كيف أحقق الوجود في العالم من غير أن أخاف، أقلق، أعترب، أتيه، من غير الشعور بالذنب؟ كيف يكون الكائن ذاته وكيف يتجاوز الخوف؟ كيف ينفذ إلى موضوعات حبه/أمه أمام سلطة وتهديد الأب ؟ إننا إذن بهذا القول نطرح إشكال التهديد الذي يلقاه الكائن والذي يحمل طابعا مأساويا ومحبطا له ورؤيته لذاته وإمكاناته واستشراف مستقبله. إذن كيف يقاوم الكائن هاته العوائق التي تظهر سلطتها أمام الفرد؟ كيف يمارس الكائن الحرية من غير أن يصيبه ضرر-العمى والنتية في حالة أوديب-كيف نجعل تلك العقدة الأوديبية التي تتوارث من جيل إلى جيل سيرورة أي فاعلية ودينامية أكثر من كونها كبتا يصبح جادا للذات، أو نشهد أفولها حيث يطمس ويمحى الوجود الفريد للكائن في العالم حيث يدخل ضمن طائفة الاستلاب حتى نقول مع بارت: «في نص اللذة لم تعد القوى

المتضادة في حالة كبت، بل في هي حالة صيرورة ما من أشياء متناحرة حقا، كل شيء متعدد.»⁽²⁸⁾ كيف يحقق الكائن إمكانا وجوديا أصيلا في عالم كثر فيه الزيف والوهم والتناقض؟ إنه سؤال الكينونة، سؤال الانعتاق والحرية المسؤولة،السؤال الذي يريد التعبير وفضح الإيديولوجيا وتعرية الأنساق المتمركزة على ذاتها..

يشير بارت هنا إلى قمع لذة النص،التي ترجع إلى الأديب،بوصفه متخيلا تتبني عليه الحكاية والسرد. هذا القمع جعل لذة النص في أدنى مستوياتها؛لأنها لا تحكي صراعا مع القانون/السلطة/المعنى/المجتمع/المرجع اللغوي، ولا تنتهك حرمة اللسان/الرغبة في المحرم وانتهاك المقدس ف"كريستيفا" ترى أن المس بمقدسات اللسان مس بمقدسات المجتمع⁽²⁹⁾، فهناك مؤسسة/سلطة مانعة تعيق الاقتراب من المحرم/المحظور/المقدس.فتحاول دائما القضاء على تلك الرغبة المزدوجة (الموت والحب)/(الهدم والبناء)، وصرف الكائن عن ممارسة الكتابة والتفكير بما هو تقييض وإطاحة بالإيديولوجيا واستراتيجيات الهيمنة، هذه المعوقات المتسلطة على الكائن، والتي تهدد الكائن تجعله خائفا باستمرار في عالم متغير، وهنا تصبح للمشاعر والأهواء فاعلية في رؤية العالم، فهاهو الخوف كما قال هوبس "نزوع حياتي الوحيد"، قد يصبح ذاك الانفعال مرشدا للكائن في العالم، مرشدا يجنبه المأساة والتهيه ويحرك الجسد للفرار إلى الأمام ،كيف نتجاوز الذات المتمركزة على ذاتها والمتمركزة في الحاضر والحقيقي.

في الشذرة الثانية يأتي بارت على ذكر نموذجين للنص⁽³⁰⁾ وي طرح فيها بمبالغة وتكثيف الخاصية النوعية لكل من هذين النموذجين: نص هو ظاهرة طبيعية ،كتابة صوتية. اللغة في أفقر/أفقر تواجد لها كجسد علمي لها بعد نفعي، وجود كلي ماهوي مجرد، نص يكتب تحت الطلب أو ما يسميه هو بالنص الثغنة (texte – babilite). لا يعدو إن يكون رغبة لغة، لا ينتج لغة، لغة آلية ميكانيكية.، نص العرض الإيديولوجي«أما العرض فهو من جهة قد يكون تصويرا مرتبكا.»⁽³¹⁾ يعيد المعنى متطابقا مع ذاته ولا يحدث تغييرا وتعديلا على النصوص التي تشكل منها "التكرار الخجول:تكرار المضامين، والخطاطات الإيديولوجية ومحو التناقضات،لكن مع تغير الأشكال السطحية:ثمة دائما كتب وبرامج وأفلام جديدة وأحداث يومية ولكن المعنى هو نفسه دائما"⁽³²⁾ فلا يعيد تشكيل ولا صياغة اللغة ولا يمارس عليها أي انتهاك ،له دلالة أحادية من غير ظلال ولا كثافة .لغة ذات طابع نفعي. تعتبر القارئ وعاء⁽³³⁾ (Un vase) ، إذ هو نص تحكمه«علاقة المحاكاة الإيمائية بالنموذج»⁽³⁴⁾ فهو نص التمثيل/المحاكاة.

ثم هناك نص هو ظاهرة شاذة، كتابة تصوغ اختلافها، لغة في كثافتها وإبداعيتها ،جسد، رمزي، وجود عيني، نص يكتب تمردا وانحرافا (perversion) على النمطية والثقافة السائدة، يحرك ويخلخل المجتمع وقوانينه ومصادراته وبيدهياته ومقدساته ومحرماته، باحثا عن إمكان فجائي (imprévision) للمتعة ،وهي الكتابة الإيروسية، اللغة الشهوانية .نكون أمام إرادة النص للاختلاف والحاج على الآخر أين يصبح النص فعل رغبة مزدوجة في هدم تلك الإرادة السلطوية المكرسة للمعنى الشمولي الواقعي وتحقيق رغبة محرمة في انتهاك مقدسات اللسان وتحريك المنظومة الاجتماعية والتاريخية، فهي النصوص المرعبة (textes terribles) المغناجة (coquets) ويظهر أهم مميزين لهذا النص: العصاب والرغبة يفترض النص المرعب القارئ جسدا تراوده عن نفسه نصوص ترغب في القارئ، أو في مشاركة وجودية لها طابع جنسي مع جسد القارئ/الآخر ، فلكي يقرأ لابد له من تجسد، حتى يتحول إلى مشهد للمتعة والإغراء، فالقارئ محكوم بالهيئة التي يتقدم له فيها النص، لإشراكه في إنتاج المعنى وتكوين النص وإخراجه إلى

الوجود. إذ «أضحى النص فضاء افتتان، لا فضاء تعبيريا، وينبغي طرح مسائل تتعلق بالفتنة عندما نكتب والتمكن من افتتان الآخر مغامرة صعبة. «⁽³⁵⁾ - ولا يتسع المقاوم لطح هذا- فهو النص الذي يشكل جوهره: الزمن والآخر .

4 - رغائبية النص :

النص الذي تشكل فيه العصاب والرغبة⁽³⁶⁾ هو نص الصراع بين الوعي واللاوعي، وهو صراع داخلي، وصراع خارجي بين الوعي والعالم الخارجي، أو الواقع و يقع هذا الصراع في الجهاز النفسي* للكائن ، حيث يريد اللاوعي تحقيق اللذة** بينما يريد الوعي الحفاظ على الذات، في المقابل يعمل الواقع والعالم الخارجي على إعاقة إشباع رغبات اللاوعي، ما يجعل الجهاز النفسي للكائن فاعلا بامتنصاص الإثارة، والتخفيض من كمية التوتر، وهذا هو مبدأ اللذة حيث تلتزم النفس بهذا المبدأ الذي يعمل على تحويل منتجات اللاوعي، في صيغ رمزية تعبر وتطفو إلى السطح من غير أن تنتبه لها السلطة ، وهو ما يعرف بمبدأ الواقع*** الذي يعمل على تأجيل الإشباع .

يعمل الجهاز النفس بطريقة مزدوجة على الصعيد الداخلي والخارجي في آن معا،محاولا التخلي، والتخلص عن رغبات الهو**** التي لا تتوافق مع الواقع من خلال الحيلة النفسية التي يلجا إليها الجهاز النفسي وهي الكبت، من أجل الحفاظ على الذات وهو ما يعرف ب جدلية الخيالي والرمزي والتي من خلالها يتم انبناء الشخصية /النص فلما يولد الطفل يولد مفطورا على رغبات جنسية بدائية وفي مراحل نموه يصطدم بالواقع والعالم الخارجي، فيبدأ الأنا في التشكل مشتقا عن الرغبة الجنسية بعد تعديلات وتحويرات، هكذا حال النص مع النصوص التي يحولها لحسابه الخاص.

إثر ذلك فإن لذة النص/الفرد هي استنادا على ما سبق ذكره هي مبدأ يحكم اشتغال الجهاز النصي في علاقته مع النصوص الموجودة في الثقافة المنغرس فيها. إذا قلنا أن مرور محتويات اللاوعي إلى الوعي يتم عبر مراقبة ثنائية،أولى: تحور منتجات اللاوعي والثانية : تنقي منها ما يعبر للوعي ،يكون بالمقابل النص ينتج من خلال تحوير النصوص وتشويهها في مرحلة أولى ثم في المرحلة التالية يتم فيها الانتقاء. من تلك المنتوجات ما يطفو على السطح. أو ما يظهر ليشكل النص الظاهر/الأنا المثالي .

وعليه سيتتبع القارئ تكوّن النص من كونه لاوعي أو آثار ذاكرية، نصوص ، واقتباسات وأشلاء ومقاطع، أي من يوم كان نسخة ومخطوطا، إلى أن صار نصا ظاهرا على غرار النشاط النفسي للكائن.

بناء على ما تم ذكره تكون لذة النص هي النشاط العقلي للنص، في تحويل النصوص أو اللغات الثقافية المختلفة وإخراجها جديدة. ولذة النص نشاط اقتصادي كمي وكيفي، بوسعنا أن نقول يتعامل مع كمية من النصوص ويحاول أن يصوغها كيفيا صياغة رمزية، تقصد إلى إغراء الآخر/القارئ وتتوحد به لبلوغ لحظة سكونية.

الجدلية والصراع الدينامي الذي بين النص/الأنا والثقافة/الأنا الأعلى، هي في الأخير ما يسهم في تشكيل خصوصية النص باعتباره منتوجا ثقافيا بالمرور بمرحل/أجيال يتكون فيها النص/الفرد.وهنا فالقراءة هي ملاحقة تشكل النص، وسيرورة هذه العملية. والمرحل التاريخية التي مر بها .

الصراع بين العالم الدلالي الصغير للنص، وعالم الثقافة ليس له إجراء لمنع وقوع الضرر بالأنا/النص إلا تأجيل الحصول على اللذة أو الحصول على اللذة بطريقة ملتوية، فيكبت النص النصوص التي يأخذ منها ويدخلها في لاوعيه/عالمه الباطني، ويعمل على تحويرها وإخراجها مخرج الجديد. وتتحقق متعة النص في نهاية هاته العمليات. فالجهاز النفسي للكائن لا يتقبل مباشرة كل ما هو مصدر إثارة ولذة، بل يعرضها على مبدأ الواقع حيث يتم تأجيل

الإشباع ويتم تعديلها وتحويرها والانتقاء منها لتعبر وتطفو إلى الوعي، هذا التأجيل فيما بعد يوصلنا إلى متعة ويستمر مبدأ اللذة في السيادة على قطاع بأكمله من النشاط النفسي وهو الحيز الخاص المكرس للهوام والذي ينشط تبعا لقوانين العمليات الأولية ونقصد به اللاوعي⁽³⁷⁾ بمعنى آخر أن مبدأ اللذة (العقلي) يشتغل داخل العالم الباطني /اللاوعي /اللاعقلي .

من آليات الإقصاء والاستبعاد التي يخفي بها الأنا/النص رغباته وميولاته: الكبت "Refoulement" الذي يعد آلية لمواجهة الرغبات الجنسية، إذ يدفع الأنا النزوة الجنسية والتصورات والذكريات المرتبطة بها وإشاراتها إلى اللاوعي، حيث يتم كبتها. ويعرف الكبت بأنه «دفاع مرضي بالمقارنة مع دفاع سوي من نمط التجنب ويوصف الكبت منذ البدء كعملية دينامية. وهو معرض دوماً للتفشي من قبل قوة الرغبة اللاواعية التي تجهد للعودة إلى الوعي»⁽³⁸⁾ الكبت أهم إجراء للأنا/النص في مواجهة الغرائز الجنسية/النصوص السابقة التي تشكل منها هذا النص من أجل الحفاظ على الذات؛ وظهور الأنا/النص كوحدة شاملة ومتناسقة، رغم صراعاته على المستوى الداخلي والخارجي. لكن تنفذ النزوات الجنسية إلى الوعي، وتنفش قوة الكبت وهو ما يدعى عودة المكبوت «Retour du refoulé» فتكسر نظام الحظر المفروض عليها من الأنا لكنها عودة مختلفة للمحتويات اللاوعي وأثاره الذاكرية إذ تظهر رمزيا « تتطابق لحظة بزوغ الجنسية مع لحظة ظهور الهوام ومع الإنجاز الهلاسي * للرغبة*»⁽³⁹⁾ بمعنى أن النزوة تختفي أو كما يقال بلغة التحليل النفسي تثبتت على بعض الأخيلة والصور والاستيهامات، فالصلة وثيقة بين الهوام والنزوة الجنسية التي تجعلها تخترق نظام الوعي فتخرج محولة ومحورة في هذه الصيغ الرمزية «تنظم التصورات اللاواعية في هوامات، وسيناريوهات خيالية تثبتت عليها النزوة، مما يسمح لنا باعتبارها وكأنها إخراج مسرحي** حقيقي للرغبة»⁽⁴⁰⁾ فخرجها إلى نظام الوعي هو خروج رمزي لا حقيقي، أي كما قال لابلانز "إخراج مسرحي" من نقل وتكثيف وترميز فلا تثبتت إليها سلطة الأنا الأعلى بفعل هذا الكلام غير الواقعي، الذي تختفي وراءه النزوة وتتفادى التعارض مع الواقع؛ أي أن إشباع الرغبات الجنسية يتم على المستوى الهوامي، ولا يعني هذا انتصارا للمكبوت على الكبت، تبقى هاته العمليات حيلة نفسية تقاوم بها الذات/النص ، على صعيدين داخلي وخارجي. فالكون التخيلي للنص هو مسرح الأحداث التي من خلالها تتعدل النصوص واللغات الثقافية.

تنزع الرغبة اللاواعية إلى إن تتحقق من خلال استرجاع الإشارات المرتبطة بتجارب الإشباع الأولي لأن الرغبة غير الحاجة (Besoin) فالحاجة متولدة عن حالة من التوتر الداخلي، ويتم إشباعها من خلال الفعل النوعي الذي يؤمن الموضوع الملائم لها (كالطعام مثلا)؛ بينما ترتبط الرغبة برباط لا فكاك منه "بالآثار الذاكرية" وتجد تحقيقها في إعادة الإنتاج الهلاسي للإدراك الذي أصبح إشارات على هذا الإشباع تحكم، وتتوجه للبحث عن الموضوع في الواقع. إذا فالرغبة مرتبطة بإشارات طفلية لا تمحى لأنها ليست في جوهرها علاقة بموضوع واقعي مستقل عن الشخص بل هي على علاقة مع الهوام وتثيرها أحداث راهنة.⁽⁴¹⁾

في الجهاز النفسي/النصي نمطين من الطاقة/الدلالة:ساكنة ومتحركة ويتعرض ثبات المستوى الطاقوي في الجهاز النفسي إلى التهديد من خلال حالات الإثارة، أو من خلال التوزيع غير المتساوي للإثارة ضمن النظام، وينتج التوزيع والتحول السريان الحر للطاقة ، فتضطر الجهاز النفسي إلى محاولة استعادة الحالة السابقة على الإثارة أي حالة الاستقرار .

أصبحت المسألة/الإشكالية بالنسبة لفرويد هنا: هل مبدأ اللذة يتطابق مع الاحتفاظ بثبات المستوى الطاقوي: بمعنى هل الطاقة تظل ثابتة داخل نظام مغلق ويعني هذا أن الوقائع النفسية/النصية تخضع لهذا المبدأ الذي يؤدي إلى افتراض وجود طاقة نفسية أو عصبية لا يتغير مقدارها رغم تعرضها لمختلف التحولات والانتقالات فهذا المبدأ يترادف ومبدأ الاستقرار. لأنه ينزع إلى الحفاظ على الثبات، أو على العكس يتطابق مع تخفيض جذري للتوترات إلى أدنى مستوى ممكن.

لاحظ فرويد أن مبدأ اللذة يتعارض بالأحرى مع الاحتفاظ بالثبات، فهو يتطابق مع السيلان الحر للطاقة/الدلالة، بينما يتطابق الثبات مع ربط هذه الطاقة.⁽⁴²⁾ وهنا اللذة هي السيلان الحر للطاقة من تصور إلى آخر في الجهاز العصبي، المتكون من تشعبات عصبونية وتحطيم قيد الكبت الذي يربط الطاقة ويعيق حركيتها وانتقالها وسيلانها وما يضمن هذا السيلان هو تلك العمليات الأولية للاوعي، بالمثل يكون النص نسيج ينتقل فيها المعنى من دال إلى دال في شكل من الهروب والفرار والانزلاق، فهو يفتقد إلى استقرار أو ثبات ويحاول استرجاع حالة سكونية، فالنص جهاز يعيد توزيع نظام اللغة وهو ما نقله بارت عن نظرية النص⁽⁴³⁾ مستندا على طروحات "كريستيفا" التي ترى أن النص جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان، بواسطة الربط بين كلام تواصل يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المترامنة معه فالنص إذن إنتاجية وهو ما يعني:

- أن علاقته باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع .
- أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتفاى ملفوظات عديدة منقطعة من نصوص أخرى. (44)

فالنص الرغائبي نص ذاكري له آثار ذاكرية، رمزي، وهو ما يشكل مواقع إيروسية تغري وترواد القارئ « إن على النص الذي تكتبونه أن يقدم إلي الدليل على أنه يرغب في وهذا الدليل قائم إنه الكتابة»⁽⁴⁵⁾ فقصدية هذا التجسد هي إغراء القارئ بهذه الكتابة الرغائبية الرمزية الذاكرية «تقصدونني لكي أقرأ لكم ولكني لست بالنسبة إليكم شيئا آخر غير هذا القصد، لست في أعينكم بدلا لأي شيء لا صورة لي (بصعوبة تبقى لي صورة الأم) لست بالنسبة إليكم جسدا، ولا حتى موضوعا...»⁽⁴⁶⁾

العصاب Névrose هو واحد من مما يحدد النص كذلك عند بارت ، ويتشكل العصاب كذلك نتيجة الصراع والكبت « من المؤكد أن كل ألم يتصل بالعصاب والأمراض النفسية، إنما هو من ذلك النوع؛ أي إنه في صميمه لذة لم يمكن الظفر بها على أنها كذلك. »⁽⁴⁷⁾ المريض العصابي لا يقول الحقيقة ولا ينقل الواقع لأن كلامه رمزي * هذا من جهة، ويستمد صورته من الذاكرة وهذا من جهة ثانية، إنه تاريخ قديم جدا/طفلي تصور ينتقل من الطفولة إلى الرشد، فالتصورات تبقى قابعة في اللاوعي ولا يقدر الأنا إلغائها مطلقا، وكأنها تبقى منقوشة أثرا، ندبة تاريخية في اللاوعي. يحاول المكبوت أن يجد سبلا تتفاوت في مراوغتها لنجاح العبور، ومن هذه الاستراتيجيات التكرار المختلف/التكرار الإيروسي-الذي يتحدث عنه بارت - يعيد هذا التكرار إنتاج ما مضى، بشكل متفاوت في تستره، فالمكبوت يحاول العودة إلى الحاضر في صيغة مختلفة، متجسدا في نظام الوعي، من خلال تلك العمليات الأولية التي تجري في اللاشعور، فتثبت وراء الهوامات والصور التي من خلالها يحطم المكبوت قيود الكبت، التي تضمن سيلان

الطاقة في الجهاز النفسي، يشترك العصاب والرغبة في الأثرية والصياغة الرمزية والعودة المختلفة للمعنى، لكن الصراع والجدلية هنا تتم في العالم الباطن الخيالي للنص حيث يتم تحويل وعودة المكبوت/النصوص عودة مختلفة .
لا يوجد الكائن في عالم يقين وثبات، وهو بإدراكه لا حقيقة هذا العالم يدفعه ذلك الإدراك إلى أن يبدع ويخرج المكبوت وتلك الأحاسيس إخراجا مسرحيا؛ تعابير رمزية بها يحدث تقيسا للذات من أغلال الكبت. أي إخراج التجربة الباطنية للكائن إخراجا جماليا .فبتعرضها لمحك الواقع تتعدل الرغبات الفطرية للكائن، تبدع الذات حلولا لمآزقها بإنزال رغبة لاواعية إلى الواقع.

فكشفت عالم اللاشعور بما هو عالم باطن/مظلم يتم من خلال تفحص سلسلة الدوال ، خاصة تلك التي تظهر في شكل عرضي هامشي،رمزي،حيث تبدأ الرغبة اللاواعية في الفرار والهروب من تصور إلى تصور، إذ تكتنز اللغة الرمزية طاقة إيحائية وإيمائية تسهل جريان/سيلان الدلالة، فتفصح تماسك النص/العلامة الكلية/الأنا. فالدال له أصداء لاواعية، فيتمكن المحلل من حدس الرغبة اللاواعية «فانطلاقا من الكلمة نكتشف إذا أرفقنا السمع تداعيات الذات ورغبتها اللاواعية»⁽⁴⁸⁾ انطلاقا مما جاء في التحليل النفسي فإنه يتعين الإنصات إلى ما يصمت عنه الوعي ولا يتكلمه اللسان، هناك في الفجوات، وبين السطور وفي البياض، تقبع الرغبات المكبوتة.و تغدو عملية الكشف متيسرة إذا ما تم إدراك العمليات الأولية التي يتخذها المكبوت للنفاد إلى الوعي، وهي :الإزاحة والتكثيف كأبرز العمليات التي يمر من خلالها المكبوت وهنا نتعرف مع "لاكان" على أهمية الاستعارة والمجاز المرسل.فالمجاز المرسل هو تنقل الرغبة المستمر على طول سلاسل التداعيات،أو هو الهرب الأهوج للرغبة من دال إلى دال وهو وسيلة هذه الرغبة للإفلات من الرقابة، لأجل ذلك ينبغي تتبع الرغبة من دال إلى دال قصد الاقتراب من التعالقات الأولى للرغبة، وبالمقابل تعطي الاستعارة لرغبة الشخص بل وحتى لكثير من رغباته، تعبيرها الصادق.⁽⁴⁹⁾ بمعنى أن على القارئ أن يرصد الرغبة في تعالقات النص التحتية مع نصوص سابقة التي حل محلها،وأن يتتبع انزلاقات المعنى وانجراف الدلالة الذي يحدثها اختلاف الدوال. فالقارئ يشتغل على اللاواعي،ذلك أن كلمة قد تحل مكان كلمة أخرى تحوز حق ظهور في البنية الفوقية وتؤخر حضور كلمات أخرى كان بالإمكان إن تظهر على سطح النص حتى الحرف قد يخفي حروفا أخرى مضمومة، وهنا يحدث لا استقرار اللغة وانجراف الدلالة وتداعياتها فيصبح النص أثرا وهنا نفهم ما يقوله بارت أن للحرف لذته وهاجسه فالحرف قادر على هز الدلالة وتقليبها.

يستعير النص عند بارت من الكائن البشري هذه البنية التكوينية النفسية- أين يصبح العصاب عند بارت ما يتيح الكتابة والقراءة فالنص ملغوم بعقدة نواتية هي الأوديب لأن "العقدة الأوديبية عقدة نواتية في العصاب"⁽⁵⁰⁾فيه رغبة مكبوتة، وتستر في البنية الخيالية للنص،.وبما أن الرغبة تنتستر خلف العمليات اللاواعية فعلينا تتبعها عبر الإزاحة والنقل لأن الرغبة ذات طبيعة تاريخية «إن انتقال الرغبة في صورة مرموزة هو الذي يتيح لنا وحده تصور الاحتفاظ بحقيقة تاريخية عبر الأجيال: ذلك أنه بإمكانها ولو أنها لا تكون مقولة ضمن ذلك الخطاب أن ترد في بنية قوله»⁽⁵¹⁾
الممارسة الإنتاجية التي تحكم علاقة النص بباقي النصوص السابقة والمعاصرة له، تسهم في توليد الدلالة فلا مجال هنا لحصر المعنى ، بحيث يغدو معها النص استعارة كبرى تعوم المعنى وبها يسهم في تحرير دلالات جديدة، وفتح التعدد داخل النسيج والذي سنحاول الآن أن نتناوله:فهو يتبنين ويتشكل في صيرورة وانبثاق مستمر به يخرج اللغة إخراجا إبداعيا.

5- انبناء النص: الصيرورة وتولد الدلالة

إن ما يشكل لذة نص هو الزيادة أو ما يفيض على البنية حيث يفلت الفائض من سيطرة الوعي/النص الظاهر فتلك التعالقات التحتية التي ينسجها النص مع النصوص القديمة والمعاصرة له. هذا الفائض يؤكد أمرا مهما أن النص غير مكتمل وغير منجز.. فالازدواج الدلالي، والتعبير الرمزي، والأثرية والتصوير، وأهم انفعال للنص هو التردد وتلك الهلوسة، وذلك التوزيع والتقطيع، أليست هاته الاستراتيجيات إشراكا للأخر/القارئ، في إنتاج المعنى، ومع ذلك أليس من الاستحالة القبض على هذا الفائض وهاته الزيادة؟

يمائل نظام اللذة النصية، نظام اللذة الجنسية هذا الأخير الذي يعد المحصلة النهائية لصيرورة من الفاعلية و الدينامية تقطعها نزوات جنسية/النصوص مشتتة، تتدخل في تفاعل وانصهار، عبر تاريخ نمو الليبيدو حتى تظهر في وحدة متناسقة، وتعد الجدلية بين النزوة ووسيلة القمع الكبت لنظام الأنا، أخصب مراحل نمو الليبيدو⁽⁵²⁾ تمر اللذة بمراحل مختلفة حتى تصل إلى لذة الكائن الراشد، وهي محطات مهمة : الطفولة - البلوغ- الرشد ويساهم هذا النمو الليبيدو للكائن في تشكيل الأنا والأنا الأعلى . فالنظامين الأخيرين لم يكونا في الأصل إلا لاواعي، تم تحويله وتعديله من خلال المساهمة الكبرى لمبدأ الواقع «النزوات الجنسية تفرض على الجهاز النفسي مهمة تحويلها»⁽⁵³⁾ فليس اللذة الجنسية إلا ترجمة نهائية، لمجهود الطبقة العاملة الكادحة في الأعماق، أو اللذات العضوية التحتية.

يتحدث بارت عن توليد الدلالة من لذة حسية، فإننا والحال هذه نستند إلى نمو الليبيدو، فصيرورة تكوين النص هي صيرورة تكوين الأنا في آن واحد: فالمرحل التي من خلالها تتكون الذات هي ذات المراحل التي يتم من خلالها تمايز الأنا عن الهو، والتعديلات التي يمر بها الهو، نتيجة احتكاكه بالواقع فيتشكل الأنا الأعلى . يجب كذلك تذكر العقدة الأوديبية التي يظهر أن بارت من خلالها ينسج على غرار فرويد تكوين النص، خاصة فيما يتعلق بجدلية الأب و الابن. فبارت يبحث عن وضع نظرية للنص من خلال التحول، والتوليد اللانهائي للدال، ما يجعل النص الفوقي هو تعدد نصوص، والذات بالمثل متعددة منكثرة.

سيان تكوّن النص وتكوّن الأنا كما يطرحها التحليل النفسي، و لما استند بارت في طرح نظرية للقراءة على واحد من المرجعيات المعرفية المهمة وهو التحليل النفسي، خاصة تكون أو توليد الأنا من خلال العقدة الأوديبية ومن خلال مبدأ اللذة الجنسية، فإن مراجعة نمو الليبيدو أو ما يعرف بتنظيم الليبيدو وانبناء شخصية الكائن. ضرورة لفهم الطرح البارتي فيما يخص البنية النصية «ليست الذات نقطة بل نتيجة بنية معقدة وانطلاقا من حدث معين هو الوحيد الذي يحدث للذات المفردة خلال مسار حياتها»⁽⁵⁴⁾ وبدل البحث عن مميزات كل جنس تصبح القضية المحورية التي تشغل القراءة هو التداخل وتوالد النصوص. وفضح استراتيجيات الهيمنة الأبوية الرمزية على الدال وتحريره من أجل أن يعبر المكبوت إلى الوعي بمعنى آخر: المشاركة في انفتاح النص على اللانهائي والمطلق من هامش مدنس هو: اللذة الجنسية التي تقبع في اللاواعي.

إن البيولوجيا المحتكم إليها في "إنتاجية النص" عند "بارت" تبدأ من نسيج العنكبوت، وجدل اللذة والموت، إلى تماهي الحرباء بالمحيط الذي توجد فيه، خاصة إذا داهمته الأخطار وقدرة ذلك الكائن على الانفصال عن جزء من جسده أثناء تعرضه للخطر. ومتابعة هذه البيولوجيا النصية، هو ما يحدد اختلاف النص، كما يحدد نزوة القارئ في

اختلافها، ولعل الجامع بين هاتين الخاصيتين للنص عند "بارت" هو درء الخطر عن الذات أو باعتبارها إجراءات دفاعية، تقاوم من خلالها الكائنات الحية الخطر الواقعي، أي الحفاظ على الذات وهو المطلب العقلاني بامتياز لكائنات غير عاقلة. وبعبارة وجيزة تمفصل الجسد مع العالم الواقعي بعيدا عن كل استثمار إيديولوجي.

من النسيج إلى التماهي يتخلق النص فردا مختلفا له خصوصياته، فالنص مفتوح على لانتهائية النصوص، نسيج من ملصقات كثيرة قديمة وحديثة، وهي ما تجعل المعنى ممتنعا على الحضور، إن لم نقل مستحيلا. وما يعني القارئ هو ملاحقة هذا التشكل، من خلال مبدأ عقلي/مبدأ اللذة في بنيات لاواعية/لاعاقلة. فهي القراءة التنبئية إلى إن خلف الحضور هناك شيء ما ينسحب وينزلق. إن في كلام الذات الراهن شيء تصمت عنه ولا تقوله. فالنص يكرس « التراجع اللانهائي للمدلول، النص تمددي مجاله مجال الدال، ولا ينبغي تصور الدال على أنه "الجزء الأول من المعنى" وحامله المادي وإنما هذا الذي يأتي بعد حين، وبالمثل فإن لانتهائية الدال لا تحيل إلى ما يعجز اللسان عن التعبير عنه (أي إلى مدلول لا يمكن إن يجد التعبير عنه) وإنما إلى فكرة اللعب. إن التوليد الدائم للدال داخل مجال النص (أو لنقل الذي مجاله النص) لا يتم وفق نمو عضوي، أو حسب طريق تأويلي، وإنما وفق حركة تسلسلية للتداخل والتغير. »⁽⁵⁵⁾ فيتم في كل جهد قرائي تفويض وتحطيم، أي ارتباط بين الدال والمدلول، في عملية توليدية تحويلية، تخضع الدال إلى سلسلة من التغيرات والتحويلات الجوهرية والتي تسهم في فرض خصوصية النص .

يخفي النص الظاهر وراءه نصا مكبوتا، لانتهائية من النصوص تم تحويلها ومعالجتها فخرجت نصا جديدا ممتعا أي النص الظاهر المتماسك المنسجم، باعتباره المنتج النهائي لتلك الإنتاجية. ومتى ما وقعت يد العاشق/القارئ على ذلك النظام فترجه وتحركه، لتظل على الأعماق الدفينة والمكبوتة والسيرورات المنتجة لنظام اللذة النصية. من خلال مبدأ اللذة، فإنها لا محالة تدرك الفاعلية والدينامية النصية في معالجة النصوص الثقافية وتخرجها جديدة، وهذه الملاحقة والوصف، لإنتاجية النص هي بالنسبة إلى الذات تشكيل لهويتها فلا ننسى أن مطلب القارئ كذلك هو تحقيق ذاته في بحثه النهم عن الآخر الذي يستعص على الظهور في العلاقة المرآوية التي يتحدث عنها بارت فيما يخص صورة الكاتب و صورة القارئ -ولا يتسع المقام لهذا الطرح- .

إن الدينامية التي نتحدث عنها هي توليد الدلالة تبعا للنشاط المزدوج أو الرغبة المحرمة تحريما مضاعفا أقصد رغبة في الأم/البناء/الحب، ورغبة ضد الأب/الهدم/الموت؛ إقامة علاقة إروسية مع الأم/النصوص، وهدم وعلاقة عدوانية تجاه السلطة /الأب المعنى المرجعي « وتبعا لطبيعة النص المزدوجة (التفكيك والبناء) فإن النص المتعدد المستويات يعتبر إنتاجية Productivité كما ترى "جوليا كريستيفا"، تهدف إلى إنتاج دلالة متواصلة Signifiante»⁽⁵⁶⁾ إن التوليد الدلالي هو الفسحة من الزمان، التي يتم فيها تأخير المعنى المرجعي للكلمات، والالتفات إلى الأصداء المحملة داخلها، والتي يشتغل فيها الجسد في فعل المعرفة، والبحث عن الآخر. إن هاته الفسحة هي الناتجة عن التأخير/التعليق الفينومينولوجي للمعنى الكلي الشمولي. وهي ما يتيح للجسد الاشتغال والفعل الدينامي في توليد الدلالة Signifiante بإيقاظها وجعل الدلالة في حالة صيرورة وسيلان، بغياب منتج النص، ف«اللاحقة "ance" تؤكد على مفهوم سير العملية، الاشتغال الدائم»⁽⁵⁷⁾ انزلاق المدلولات وسيلانها من دال إلى دال دون انغلاق النص . بمعنى جعل النص /النسيج الاجتماعي من طبقات دلالية متعددة ومن لغات ثقافية كثيرة، بنية دينامية من غير تمركز ومفاضلة أي بنية عادلة⁽⁵⁸⁾ يحكمها منطق الاختلاف في الواحد المتعدد فهو النص الجمع (Le texte)

pluriel وتتجرف معها الذات في فعل اللعب الكتابي المقوض للأيديولوجيا داخل هذا النسيج .من خلال الإخراج المسرحي للأب/الأنا الأعلى/للنظام الرمزي/اللغة .

استنادا إلى مراحل نمو الليبيدو ،يقوم النص بجمع وامتصاص و تكثيف كل النصوص الآتية من الثقافة(المرحلة الفمية) فمن خلال امتصاص هاته الوفرة من النصوص الثقافية قديمة وجديدة ؟إنه الدخول الذي يكشف الغطاء عن البنية التاريخية والاجتماعية التي تحيط بالنص. يقول حسين خمري إن مهمة النص المتداخل intertextes هي "موضعة النص داخل المنظومة الثقافية وتشكيل بياناته السوسيو- ثقافية والتاريخية"⁽⁵⁹⁾. والنص المتداخل هو نص المتعة، لأن المتعة ممنوعة تقال في الداخل Interdite ،كما يقول بارت لآعبا على الرنين الجناسي ،الذي يقال في الداخل والمحدور ، وهو المصطلح الذي يرن في مصطلح النص المتداخل، إذن فمصطلح (الامتصاص) مصطلح بيولوجي لو رجعنا إلى الجهاز الهضمي للكائن فبعد إدخال الأكل ، تتم المعالجة داخل المعدة واشتغال آليات الهضم بتحليل المواد الغذائية ، إلى عناصر جزئية مكونة لتلك المادة، كمصدر للطاقة حيث يتم امتصاص العناصر الحيوية، والتخلص مما هو غير مفيد -فاعلية الإدخال والإخراج بالنسبة للجسد- وهكذا تعبر بالنسبة للتحليل النفسي محتويات اللاوعي إلى الوعي، عبر عمليتين مهمتين: عبور من اللاوعي إلى ما قبل الوعي، و هنا تبرز فاعلية التحوير والتشويه بمعنى العبور، أما العبور من نظام ما قبل الوعي إلى الوعي فتتم بفاعلية الانتقاء⁽⁶⁰⁾ ، النص أثر ذاكري ، فنص بروست الذي تحدث عنه بارت⁽⁶¹⁾ يترك آثاره عند القارئ ، تبعاً لأنماط من الترابطات/سلسلة تداعيات ، ويحرك تداعيات في ذاكرة القارئ ، بما تحتفظ من نصوص التي تنفذ وتخرق الوعي من خلال العلامة الفوقية، نص "بروست" الذي يصبح نواة عقدة، بين مختلف النصوص/الخيوط تتقاطع عندها، تلك الصور/ الآثار الذاكرية، يصبح محرك ذكريات وتداعيات فهذا التداعي (Association) الذي حدث لبارت بمجرد ما قرأ تلك العينية الجزئية، هذا السيلان للطاقة، عملية انجراف لتلك النصوص الغائبة من الذاكرة/الخران، لأن الصور تشكل صدمة لوعي القارئ واخترافا بالغا للأنا ،تغمره بالكامل تزيد اللذة، وتنمو بنمو الجسد. فالنص دفع قوي من الكلمات ،كما يقول بارت، ما يجعل المعنى غير حاضر بل دوماً مرجأ مؤجل إلى حين ، واللعب داخل هذه الفسحة الزمانية هو المتعة، فالنص إذن ليس تعبيراً ، بل كتابة/ممارسة استنساخ ، لا متناهي لأصوات تأتي من هناك من فردوس النصوص .يغدو معها النص ملتقى لانتهائية من النصوص أو تتكثف داخلها، نصوص لانتهائية.

ثم بتفكيك الدال وحل ارتباطه بالمعنى المرجعي وطرح المعاني المعجمية (المرحلة السادسة) و ما يأخذه الدال من معاني داخل سياقات النصوص المختلفة ، فبعد توسيع دائرة النص لاحتواء كل الصور الآتية من شتى الثقافات، أو جمع النصوص التي حدثت أن لذت لأحد كما قال بارت؛ مع شرط المساواة، وعدم المفاضلة بينها، وهناك تحس الذات / النص بالبدانة، حيث تتداخل النصوص بعضها مع بعض. ينفق النص بلذة كل المعاني المرجعية ، وتستبدها في المرحلة السادسة الحالة للروابط، والتي تتطلب مجهوداً عضلياً في هدم وكسر الرابطة بين الدال والمدلول ، بخلخلة الترسبات، كسر التكلسات القديمة، حيث تتفكك الترابطات الدلالية، وتفقد تماسكها المنطقي، وهي المرحلة التي تجعله ينفق الكثير من المعاني، ويخسر الكثير من التصورات، وتحدث الكثير من الإزاحات وأهمها موضوع الرغبة، ثم يزيح في المرحلة القضيبيية كل دال مركزي متسلط يقبض على الدلالة ، ويجرد النص من المعنى المركزي الشمولي الثابت، ثم يدخل مرحلة الكمون هدوء و سكون وقد تلاشى النص/ الفرد في النصوص /الجماعة ، أصبح النص هو

الجماعة أو هو الواحد المتعدد ، ثم يعيد خلق دلالات جديدة للغة لم تكن لها قبلا(المرحلة التناسلية) فالتحويل الذي يجريه النص على اللسان ، و إعادة توزيع نظام اللسان هو تفويض للمعنى المرجعي الواقعي ، الذي يعلق بالكلمات أي إكساب العلامة اللغوية معاني جديدة باكتشاف دوال ترقد تحت العلامة اللغوية واكتشاف علاقات دلالية جديدة، ومختلفة، عما هو متعارف عليه ، فإبعاد وقذف المدلول المرجعي للكلمات وتعليقه ، ومن خلال اللعب اللغوي، يبدأ الكائن في التصور والتخيل أي تفعيل مخيلته وإبداع دوال جديدة، هو الإبداع من خلال إحلال تصورات أخرى محل التصور المركزي ف «النص باعتباره ملفوظا شخصيا، أي انجازا فرديا يعيد التركيبة اللغوية والمنظومة السيميائية، ويوزعها توزيعا جديدا ، وفق حاجاته التعبيرية ورؤيته الجمالية، وعن طريق هذه العملية الازدواجية توزيع /إعادة بناء، يقدم النص بعملية احتواء وامتصاص بعض العناصر النصية الغريبة عن جهازه اللغوي و إطاره المضموني، وينسق بينها وقد تنتمي هذه العناصر إلى ثقافات متباينة، و أجناس أدبية مختلفة»⁶² فالفاعلية النصية أمام النسق الثقافي الذي تشكل ضمنه النص عبر تناصاته مع تلك النصوص الثقافية، يقتضي هاته الفاعلية ليكون فردا مختلفا مع وجود تعالقات مضمرة بينه وبينها ، وهاته فاعلية هي الهدم والبناء أي الرغبة الأوديبية في أجلي صورها بما هي علاقة عدوانية تدميرية تجاه الأب(اللسان)، ورغبة في الأم/النصوص الثقافية، بما هي رغبة حب ونرجسية فيتمايز هذا النص عن باقي النصوص الثقافية. مرحلة التعرف على الآخر ، ودمجه في الذات هو مرحلة عدوانية وعشقية في آن، واسترجاع حالة الانصهار الكلية بين الجسدين أو التوحد والالتصاق وما قبل الانفصال عن المدونة، بل هو النسيان المضاعف للمعنى، فالكلمة تنسى مرجعها الواقعي، من خلال المرحلة الأولى، ثم في داخل الذات/النص يتم كذلك نسيان الكلمات لمعانيها في النص، في كل سياق ترد فيه شكل من النسيان المضاعف للدلالة الأصلية، تظهر الكلمات جديدة والجدة شرط المتعة (فرويد). وتتم خلخلة اللسان وذكريته والمجتمع ومقدساته ،وهي ذات مراحل العشق الصوفي وكما قال بارت: "لعل هناك على ما يبدو صوفية للنص"⁶³ - والمقام هنا لا يتسع كذلك للحديث عنها-

الخاتمة :

من خلال العمليات الأولية/البلاغية حيث تتم المواجهة و الصراع بين النص والنظام الرمزي:وهنا لا نتحدث عن الاستعارة والمجاز في الجملة، بل النص ككل بوصفه علامة، أو وحدة دالة تتعالق فيها لغات/دوال كثيرة لانتهائية. فالنص نسيج ملصقات ثقافية أي النص تكثيف ولا يتكلم أي لغة من تلك اللغات، بل هو بعض لغة أو لغة كل اللغات. وهو إلى جانب ذلك يزيح مركزية أي صوت و أي لغة ولهجة ، ويزيح الدلالة المركزية للدوال ، ويزيح صنف الخطاب الذي ينتمي إليه ويعيد إخراج الخصائص الشكلية لنصوص السابقة إخراجا جديدا فريدا⁽⁶⁴⁾ يحقق بها جماليته الخصوصية -شكل من النرجسية- عن تلك المنظومة الأبوية التي تشكل في رحمها.و هو الفعل الذي يجد لذة من الحرف إلى النص. حيث يتم جريان الدلالة فالتكثيف والإزاحة ، هو الجوهر المشكل للعلمية الإبداعية التي تخرج اللغة مخرج الجديد الممتع، أو كما قال بارت : الإخراج المسرحي للأب ، أي إبداع و إنتاج اللغة، من خلال هاته الآليات البلاغية التي تجسد الخصوصية النصية، أو فرادة النص، يقول نيتشه: « لكي يكون هناك فن لا بد من الانتشاء ،لا بد أولاً أن تكون انفعالية كل الآلة قد كتفتها النشوة...الأساسي في النشوة هو الإحساس، هو تكثيف القوة، تكثيف الكمال، هذا الإحساس هو الذي يدفع الإنسان إلى وضع شيء من ذاته في الأشياء، إلى إرغامها على احتواء ما يصنعه فيها إلى التعسف في حقها.»⁽⁶⁵⁾.

النص ذاكرة جماعية من النصوص القديمة والحديثة، تتجمع كلها في هذا المتن/المدونة/ النص/الجسد لكن حضورها شرط لغيابها، وهو ليس إقصاء بل تحويرها، لأن وهذه هي التراجيديا :الكائن ووعيه متمزق بين الرغبة والواقع نتيجة سلطة النظم العليا .فيخفي النص رغباته اللاواعية (النصوص التي يأخذ منها و أنبنى عليها) بل ينكر كل علاقة أو رغبة أوديبية تجمعه بها ، يكتب النص النصوص الثقافية محوا، تحركه رغبة مزدوجة هي اللعبة الهيروقليطية: الهدم والبناء ، ليكون النص/الكائن هو الواحد المتعدد أو بابل سعيدة، بلا مركزية.ولا أصل، ولا خوف من الأب/الإله . وتغدو معها اللذة هي السيلان الحر للمعنى من دال إلى دال، ومن نص إلى نص وهنا تتحطم قيود الكبت التي تعيق حركية الدلالة، وما يضمن هذا السيلان هو تلك العمليات الأولية للاوعي (عمليات بلاغية) يغدو معها النص مسرحا لرغبة أوديبية محرمة تحريما مضاعفا.تتخلص منها الذات/ النص خلال تفاعلها مع الجماعة/ النصوص ، فالنص نسيج متفاعل تسيل فيها الدلالة بلا مركزية.لغة من اللغات ودون استثمار إيديولوجي.

الهوامش:

1. رولان بارت: درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعيد العالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط3،. 1993،ص61
2. بارت : الكتابة في درجة الصفر، تر:محمد نديم خشفة،ط1،مركز الإنماء الحضاري،لبنان،2002، ص ص 24،25
- 3 - ينظر بارت : لذة النص ، تر فؤاد صفا و الحسين سحبان ، ط2، دار توبقال للنشر ،المغرب 2001، ص ص 35 ، 36
- * المتن corpus مجموعة مكتملة من الملفوظات تؤخذ كمواضيع للتحليل، وتعتبر المجموعة كخصائص للنموذج اللغوي القابلة للدراسة، وكقاعدة لوصف وتحضير نموذج تأويلي لهذه اللغة، ينبغي إذن جمع وانتقاء الوثائق المكتوبة أو الشفوية وذلك وفقا لطبيعة البحث. ينظر:رشيد بن مالك :قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ،عربي ، انجليزي ،فرنسي ، دار الحكمة ،الجزائر،2000، ص 47
- 4 - بارت : لذة النص ، ص ص 38-39
- 5 - المرجع نفسه ، ص 25
- 6 - المرجع نفسه، ص 24
- 7 - جون ماكوري : الوجودية، تر إمام عبد الفتاح إمام ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، 1982، ص ص 103 ، 104
- 8 - فريد الزاهي : النص والجسد و التأويل ، إفريقيا الشرق، المغرب/ لبنان، 2003 ، ص 25
- 9 - فريد الزاهي : الجسد و الصورة و المقدس في الإسلام ، إفريقيا الشرق المغرب /لبنان،دط،1999، ص 11
- 10 - بارت : لذة النص : تر محمد الرفرافي و محمد خير البقاعي ، مجلة العرب و الفكر العالمي ، ع 37 ، مركز الانماء القومي ،بيروت 1990 ، ص 9
- 11 - محمد أندلسي : " نحو سياسة جديدة للكتابة في الفلسفة " ، مجلة عالم الفكر ، ع 4 مجلد 33 ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،2005، ص 62
- 12 -عمر مهيب وآخرون : كوجيتو الجسد ، دراسات في فلسفة كيرلو بونتي ،ط1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،2003،ص37
- 13 - رولان بارت : لذة النص ، تر فؤاد صفا و الحسين سحبان ، ص 48
- 14 - المرجع نفسه ، ص 35
- 15 - le plaisir du texte. éditions du seuil , 1973 p85: Barthes
- 16 - بارت : لذة النص ، تر سحبان وصفا ،ص 47
- 17 - المرجع نفسه ص ص : 24-25
- * **النص الظاهر** انه مساحة ظاهرية محسوسة ندركها بحاسة البصر، وكمعطى أولي ويشبه في تشكيله النسيج المتشكل من رموز تشكيلية يهدف إلى تثبيت Fixer معنى معين، والعمل على إقراره وإعلانه كمعنى وحيد. **والنص المولد Géno- texte** انه تكون المعنى عبر الشبكة اللغوية وتكون دراسة النص المولد هي وصف (أو تحليل) للمسارات التوليدية الخاصة بالنص.. ينظر حسين خمري : نظرية النص، من بنية المعنى الى سيميائية الدال، ط7 ، الدرا الع ربية لعلوم ناشرون ،لبنان و منشورات الاختلاف ،الجزائر ،2007ص244
- 18 - بارت : لذة النص ، تر سحبان وصفا ، ص ص : 24-25
- 19 - المرجع نفسه ، ص، ص 62 ، 63.
- 20 - المرجع نفسه ، ص ن
- 21 - بابل : كانت الأرض أجمعها تنكلم لسانا واحدا، وتحديدا قبل بابل. وبعد مأساة بابل تشتتت البشر، وحلت أسنة متعددة محل اللسان الوحيد وخلصت القصة : أنه لما شيد برج بابل في محاولة بشرية للتساوي بالرب وبلوغ السماء والتحول إلى إله، فرض الأخير تفوقه المطلق وعقابهم الرب بأن بلبل لغاتهم و اختلاط أسنتهم ، فاقترحتم السماء جر عليهم خطيئة/ بلبله اللسان التي أوقفت أشغال بناء البرج، وما بناء برج بابل سوى بداية تنذر بظهور رغبة أخرى هي نيل الخلود والمقام الإلهي، هذا العنصر هو أكثر ما يربط مشهد بابل بمشهد الخطيئة، والحال أن الرغبة في التشبه بالله وادعاء الألوهية يعنيان في العمق الرغبة في الاستغناء عن الله.

- ينظر عبد الفتاح كليطو : لسان آدم، تر: عبد الكبير الشرقاوي ، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1995، ص ص 16- 18
- 22 - بارت :لذة النص تر:سحبان ، ص، ص 62، 63.
- 23 - المرجع نفسه ، ص33
- 24 - المرجع نفسه ، ص 49
- 25* - شكلت أطروحات فرويد النفسية رجة للفكر الغربي، خاصة أفكاره عن التكوين النفسي للإنسان، ومقوماته البيولوجية، وكشفه عن وجود صراع في نفس الإنسان بين الوعي واللاوعي، خاصة في طبقاته العميقة التي أطلق عليها اسم اللاشعور. في البدء رأى فرويد أن الحب والجوع أهم الميول الفطرية عند الإنسان، ثم بتطور أفكاره قسم الدوافع النفسية للإنسان إلى مجموعتين : إحداهما هي المجموعة التي تهدف إلى الاحتفاظ ببقاء الفرد، والثانية هي المجموعة التي تهدف إلى بقاء النوع، وأطلق على الأولى اسم غرائز "الأنا" وعلى الثانية اسم الغرائز الجنسية، ورأى أن الألام النفسية تنأى من الصراع الذي يقوم بين غرائز "الأنا" الطليقة، وبين الغرائز الجنسية المكبوتة. رأى أن كل العمليات النفسية تخضع لمبدأ اللذة والألم، بمعنى آخر أن النفس تتطلب اللذة وتتجنب الانزعاج والألم، مما يجعل الغرائز الجنسية دائما مكبوتة، وتختفي في أعماق النفس نتيجة للكبت الذي تتطلبه التربية والدين والحضارة، ثم في دراساته الأخيرة تحول ذلك الصراع بين الغرائز الجنسية، وغرائز الأنا إلى صراع: الإيروس والتانتوس أي غرائز الحب/البناء، وغرائز الموت/الهدم. ولعل من أهم اكتشافات فرويد: وجود الميول الجنسية عند الطفل، بمعنى أنها أصل سابق للوعي، والأنا ما هو إلا مشتق من هاته الغريزة البدائية، وفرويد هنا يشكل مع نيتشه زعماء الشك في العقل كبنية أولى سابقة وهو الأمر الذي أثار حفيظة الكثير آنذاك- إذ رأى أن الغرائز الجنسية تمر بمراحل مختلفة حتى تصل إلى النضج الذي تتميز به عند الإنسان البالغ، حيث تتسجم في وحدة ناضجة واحدة، تقوم عليها وظيفة التناسل. لكنها تبدأ من عناصر محدودة في الطفولة الأولى، حين يلتبس الطفل اللذة في مناطق جسمه المختلفة، قبل أن يصل إلى المرحلة التي تمتزج فيها هذه العناصر جميعا. ووجد أن مصدر الغريزة جسدي: كالكف والأعضاء التناسلية ... والتي تولد إثارة داخلية في النفس، وهنا تكون الغريزة متموقعة بين الجسدي والنفسي، فالطفل يمص ثدي أمه، قبل أن يمص إصبعه، ويمص هذين قبل أن يستخدم شفثيه للتقبيل بوقت طويل. ينظر فرويد: ما فوق مبدأ اللذة، تر إسحاق رمزي ط،5، دار المعارف ،مصر ، 1994، ص ص 9-12
- 25 - جان لابلاتش وج.ب. بونتاليس: معجم مصطلحات التحليل النفسي ، تر :مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر لبنان، ط2 ، 1997 ، ص 356
- * الهوام: سيناريو خيالي يكون الشخص حاضرا فيه وهو يصور بطريقة تتفاوت في درجة تحويرها بفعل العمليات الدفاعية تحقيق رغبة ما. لابلاتش وبونتاليس: المرجع نفسه، ص573
- 26 - ينظر : المرجع نفسه، ص359
- 27 - رولان بارت : لذة النص ، تر سحبان وصفا ، ص33
- 28 - المرجع نفسه ص ، ص 36، 37،
- 29 - ينظر جوليا كريستيفا : علم النص، تر فريد الزاهي ،دار توبقال، المغرب ، ط1، 1991، ص9
- 30 - ينظر بارت :لذة النص ، تر سحبان ص ص 14 ، 15
- 31 - المرجع نفسه، ص ص 56 ، 57
- 32 - المرجع نفسه ، ص45
- 33 - بارت :لذة النص تر الزررافي، ومحمد خير بقاعي، ص6
- 34 - بارت :لذة النص ، تر سحبان ،وفؤاد صفا ، ص 56 .
- 35 - بارت : درس السيميولوجيا ص ص 53 ، 54 .
- 36-ينظر بارت : لذة النص ، تر صفا و سحبان ، ص14
- * ينقسم الجهاز النفسي إلى أنظمة هي: اللاوعي، وما قبل الوعي، والوعي، وأركان : الأنا الأعلى ،الأنا ،الهو (لأجل ذلك تكون الأنا ليست الأنا بل هي حاصل جمع هذه الأركان و الأنظمة المختلفة بمعنى آخر الأنا متعدد) :

1- اللاوعي : Inconscient تتضمن مجمل المحتويات غير الحاضرة في المجال الواعي الراهن، وهو أحد أنظمة الجهاز النفسي، والذي يتكون من المحتويات المكبوتة التي حظر عليها العبور إلى نظام ما قبل الوعي - الوعي بفعل الكبت.

2- ما قبل الوعي : Préconscient محتويات وعمليات هذا النظام لا تكون حاضرة في المجال الواعي الراهن، إلا إنها تقترب عن محتويات النظام اللاوعي، على صعيد حقها في العبور، إلى مستوى الوعي. نظام ما قبل الوعي محكوم من قبل عمليات ثانوية إذ تفصله الرقابة عن اللاوعي، حيث لا تسمح للمحتويات اللاوعي بالمرور إلى نظام ما قبل الوعي إلا بعد الخضوع لبعض التحوير.

3- الوعي conscience : وهو من وظائف نظام الإدراك - الوعي ويقع نظام الإدراك - الوعي من وجهة نظر موقعية على تخوم الجهاز النفسي، حيث يتلقى في أن معا المعلومات من العالم الخارجي، والمعلومات النابعة من الداخل، وهي الأحاسيس التي تندرج في فئة الانزعاج - اللذة، وكذلك انبعاث الذكريات ومن أبرز آلياته (آلية الانتباه). ويتعارض نظام الإدراك - الوعي من وجهة نظر وظيفية، مع أنظمة الآثار الذاكرية، حيث لا تدون فيه آثار دائمة للآثار ويلعب الوعي دورا هاما في دينامية الصراع من جهة التجنب الواعي للمزعجات، والضبط الأكثر تميزا لمبدأ اللذة. وهو من يستقبل الإدراكات الحسية المختلفة، الآتية من العالم. ويتمسك فرويد بنظرية ترهين الوعي، بمعنى الإدراك المتجدد الذي يرتبط بإعادة تنشيط الذكريات باعتبار أن الكلمات المستذكرة منطوقة ثانية في مرحلة ولادتها على الأقل. ينظر لابلاتش و بونتاليس : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ص ص 441،442، 590،589، 596، 591 .

** مبدأ اللذة Principe de Plaisir: هو " أحد مبدأين يحكمان تبعاً لفرويد النشاط العقلي : يهدف مجمل النشاط النفسي إلى تجنب الانزعاج والحصول على اللذة. وعلى اعتبار أن الانزعاج يرتبط بزيادة كميات الإثارة، وأن اللذة ترتبط بتخفيض هذه الكميات، فإن مبدأ اللذة هو مبدأ اقتصادي"، لابلاتش وبونتاليس: معجم مصطلحات التحليل النفسي، ص 452

*** مبدأ الواقع: هو ميل الجهاز النفسي إلى تقييد الإشباع المباشر للعرائز البدائية، حتى يكون إشباعها آخر الأمر متفقا مع الحدود التي تفرضها الظروف الخارجية، بما فيها من أوضاع المجتمع والعرف والأخلاق. المرجع نفسه، ص 30

*** الهو: أحد أركان الجهاز النفسي، وهو يكون قطب الشخصية النزوي، وتكون محتوياته التي تشكل التعبير النفسي للنزوات لاواعية، وهي وراثية فطرية في جزء منها ومكبوتة، ومكتسبة في الجزء الآخر، إنه بالنسبة لفرويد المستودع الأول للطاقة من وجهة نظر اقتصادية، كما يدخل في صراع مع الأنا والأنا الأعلى اللذين يشنقان منه على الصعيد التكويني، وهو يعتبر الخزان الأكبر لليبيدو ويستمد الأنا الطاقة التي يستخدمها من هذا الرصيد خصوصا على شكل طاقة متسامية، ومجردة من طابعها الجنسي. ينظر لابلاتش: معجم مصطلحات التحليل النفسي، ص ص 571،570

*** الهو: أحد أركان الجهاز النفسي، وهو يكون قطب الشخصية النزوي، وتكون محتوياته التي تشكل التعبير النفسي للنزوات لاواعية، وهي وراثية فطرية في جزء منها ومكبوتة، ومكتسبة في الجزء الآخر، إنه بالنسبة لفرويد المستودع الأول للطاقة من وجهة نظر اقتصادية، كما يدخل في صراع مع الأنا والأنا الأعلى اللذين يشنقان منه على الصعيد التكويني، وهو يعتبر الخزان الأكبر لليبيدو ويستمد الأنا الطاقة التي يستخدمها من هذا الرصيد خصوصا على شكل طاقة متسامية، ومجردة من طابعها الجنسي. ينظر لابلاتش: معجم مصطلحات التحليل النفسي، ص ص 571،570

37 - لابلاتش وبونتاليس : معجم مصطلحات التحليل النفسي، ص 459

38 - المرجع نفسه، ص 418

* الهلوسة (Hallucination): تصور كاذب، فيها انفصال عن الأشياء الواقعية و هي إدراك صور يظنها المدرك حقائق خارجية، مع أنها غير موجودة في الواقع، لذلك قيل: الهلوسة إدراك كاذب، والإدراك هلوسة صادقة، وهناك فرق بين الهلوسة والوهم: الوهم خطأ في طبيعة الشيء، في حين أن الهلوسة خطأ في إدراك وجوده، ولكل حاسة هلوسة تخصها، إلا أن أكثر الحواس هلوسة حاستا السمع والبصر، وأسباب الهلوسة داخلية لا خارجية، وهذا كله يدل على أن لفاعلية النفس تأثيرا في الإدراك. ينظر صليبا : المعجم الفلسفي ج2، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، ص 521

** الرغبة (Désir) هي نتيجة تصور. مثال ذلك أن قوام الرغبة في الأكل تصور الحاجة إليه، والحكم بأن هذا الشيء وهذا الفعل صالحان لإرضاء تلك الحاجة. وفرقوا أيضا بين الحاجة والشهوة (Appétit) بقولهم : إن النبات في حاجة إلى الماء، ويعنون بذلك أن الماء ضروري له، أما الشهوة فمصحوبة بألم الحرمان فلو شعر النبات بالحرمان لكانت حاجته إلى الماء شهوة وكذلك النزوح أو الميل إلى الشيء، فهو مبدأ

حركة، ونعني بذلك أنه قوة تمنعها القوى المضادة من القيام بعملها، أو إرادة متوقفة عن الفعل لعدم حصولها على الوسائل اللازمة لتنفيذه، وعلى ذلك فالحاجة والشهوة والميل، ظواهر نفسية انفعالية إذا انضم إليها تصور الشيء أصبحت رغبات. ينظر: جميل صليبا : المعجم

الفلسفي ج 1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، ص 432

³⁹ -لابلاش ويونتاليس : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ص 460

^{***} هي من بين أبرز العمليات الأولية التي تجري في اللاشعور، أو التي يقوم بها "الهو" في سبيل الحصول على الإشباع، وسعيا وراء إرضاء الميول الفطرية، تظهر هذه العمليات على أخلص أشكالها في الأحلام، وهذه العمليات تتجاهل الزمن والواقع، ولا تخضع للاعتبارات المنطقية المألوفة. من أمثلتها عملية التكثيف ومنه مثلا إخراج صورة شخص من عدة أشخاص، أو اسم جديد من عدة أسماء مختلفة. وعملية النقل (أو الإبدال) وهي إصاق الأهمية الوجدانية لأمر أو لشخص بغيره من الأمور أو الأشخاص. و عملية الإخراج المسرحي وهي الجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل في فترة واحدة كما تخرج القصة على المسرح. ينظر: فرويد : ما فوق مبدأ اللذة، ص 27

⁴⁰ - لابلاش ويونتاليس : معجم مصطلحات التحليل النفسي، ص 597 .

⁴¹ - ينظر المرجع نفسه ، ص 374

⁴² - ينظر المرجع نفسه ، ص ص 446 - 448 ، 454

⁴³ - ينظر بارت : لذة النص ، تر سحبان و صفا ، ص 16

⁴⁴ - ينظر كريستيفا: علم النص، ص 21

⁴⁵ - بارت : لذة النص ، تر سحبان ص ، 15

⁴⁶ - المرجع نفسه، ص ص 14 ، 15

⁴⁷ - فرويد : ما فوق مبدأ اللذة ص 29

* إن الرمزية تغطي كل أشكال التصوير غير المباشر: من مثل الإزاحة والتكثيف، وفي الواقع منذ اللحظة التي نتعرف فيها على معنيين على الأقل لسلك ما، كأن يحل أحدهما محل الآخر يمكن أن نصف العلاقة بأنها رمزية. ينظر : لابلاش: معجم مصطلحات التحليل النفسي،

ص 269

⁴⁸ - ينظر :مصطفى المسناوي: جاك لاكان ، اللغة الخيالي و الرمزي ، ط1، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2006، ص ص 11،

⁴⁹ - ينظر المرجع نفسه ، ص 19

⁵⁰ - لابلاش: معجم مصطلحات التحليل النفسي، ص 580

⁵¹ - مصطفى المسناوي : لاكان، اللغة الخيالي و الرمزي، ص 153

⁵² - مراحل النمو الليبيدي للكائن : مرحلة طفولة- مرحلة البلوغ -مرحلة الرشد

1- المرحلة الفمية : stade Oral هي أولى مراحل التطور الليبيدي : فيها يسود ارتباط اللذة الجنسية بإثارة الفجوة الفمية و الشفتين التي تلازم تناول الغذاء يقدم النشاط الغذائي الدلالات الانتقائية التي تنظم من خلالها علاقة الموضوع و تفصح عن نفسها فمثلا ندمغ علاقة الحب مع الأم بدلالات : أكل يؤكل " وتتفرع هاته المرحلة إلى نشاطين : المص (مرحلة فمية مبكرة) و العض (مرحلة فمية السادية " نشاط المص يتخذ منذ ذلك الحين قيمة نموذجية تتيح لفرويد إن يبين كيف تكتسب لنزوة الجنسي استقلاليتها وتشبع من خلال الغلطة الذاتية بعد إن كانت تحصل على الإشباع بالاستناد إلى وظيفة حيوية ومن ناحية ثانية .هدف هذه المرحلة هو الإدماج أما المرحلة الفمية السادية Stad - Oral يسادق الإدماج هنا منحى تدميري للموضوع و يتضمن تدخل التجاذب الوجداني في علاقة الموضوع

2- مرحلة شرجية - سادية :stade sadique -analإنها المرحلة الثانية من التطور الليبيدي التي تقع بشكل تقريبي ما بين عمر السنتين و الأربع سنوات تتميز هذه المرحلة بتنظيم البيبيدو تحت صدارة المنطقة الغلطة الشرجية حيث تصطبغ علاقة الموضوع بالدلالات المرتبطة بوظيفة الإخراج (الطرد - الإمساك) و بالقيمة الرمزية للبراز و يلاحظ خلالها تدعيم السادو - مازوشية بالارتباط مع نمو الضبط العضلي وهي مرحلة تنظيم ما قبل تناسلي و تسود فيها النزوات السادية و الغلطة الشرجية فهناك صلة بالموضوع الخارجي كما هو الحال في المرحلة التناسلية . إنها المرحلة التي يتشكل فيها محور النشاط - الفتور : حيث يطابق فرويد ما بين النشاط و السادية وبين الفتور و الغلطة الشرجية كما انه يحض كل من النزوتين الجزئيتين الخاصتين بهما مصدرا مستقلا هو : العضلات بالنسبة لنزوة السطوة و الغشاء المخاطي الشرجي

بالنسبة للغملة الشرجية السادية تهدف إلى تدمير الموضع و الاحتفاظ به من خلال السيطرة عليه في إن معا " و ترتبط القيمة الرمزية للعاء و المنع في المرحلة الشرجية بنشاط التغوط حيث اثبت فرويد في هذا المنظور التعادل الرمزي بين : البراز = الهدية = النقود "

3- مرحلة القضيبية stade Phalique تأتي هذه المرحلة من التنظيم الطفلي للبيبدو بعد المرحلة الفمية و الشرجية و تتصف بتوحيد النزوات الجزئية تحت سيادة الأعضاء التناسلية ؛ ولكن خلافا لحالة التنظيم التناسلي عند البلوغ لا يعرف الطفل في هذه المرحلة صيبا كان أم بنتا سوى عضو تناسلي واحد هو العضو الذكري مما يجعل التعارض بين الجنسين معادل للتعارض: قضيبى - مخصى تتوافق المرحلة القضيبية مع ذروة عقدة الأوديب و أفولها حيث تسود عقدة الخصاء " يلعب وجود مرحلة قضيبية دورا أساسيا بالنسبة لعقدة الأوديب: ذلك إن أفول الأوديب (في حالة الصبي) مشروط بتهديد الخصاء وهذا بدوره يستمد فاعليته من الاهتمام النرجسي الذي يبديه الصبي تجاه عضوه الذكري

4-فترة الكمون (période de Latence) هي الفترة التي تمتد من أفول الجنسية الطفلية (في العالم الخامس أو السادس) حتى بداية البلوغ وتمثل فترة توقف في تطور الجنسية و يلاحظ فيها من وجهة النظر هذه تضاول في النشاطات الجنسية و سلخ الطابع الجنسي عن علاقات الموضوع و المشاعر (وطغيان الرقة مقارنة بالرغبات الجنسية بشكل مميز) مع ظهور مشاعر من مثل الحياء و الاشمزاز و تطلعات أخلاقية وجمالية . تشتق فترة الكمون أصلها تبعا لنظرية التحليل النفسي من أفول عقدة الأوديب حيث تتطابق مع تصعيد حدة الكبت - الذي ينتج نسيان ينسحب على السنوات الأولى- مع تحول توظيفات الموضوعات أعلى تماهيات بالأهل ونمو عمليات التسمي لابلائش -هي فترة استراحة محددة مسبقا بين اندفاعتين للبيبدو لا تستلزم من ناحية منشأها أي تفسيرا نفساني و يمكن عندئذ إن توصف أساسا انطلاقا ممن آثاره في هاته الفترة تشهد زوال عقدة الأوديب لحظة زوالها وتنتهي فترة الكمون مع اندفاع البلوغ التي تحدد نهاية فترة الكمون فالغياب المستمر للإشباع يرغمان العاشق الصغير عن التخلي عن شعوره

4- مرحلة تناسلية stade génital هي مرحلة من مراحل النمو النفس بالجنسي تتميز بانتظام النزوات الجزئية تحت سيادة المناطق التناسلية وهي تتضمن فترتين تفصل بينهما مرحلة الكمون أي: المرحلة القضيبية (التنظيم التناسلي الطفلي) و التنظيم التناسلي الفعلي الذي يقوم عند البلوغ في التنظيم التناسلي البالغ "تتحول فيه اللذة المرتبطة بالمناطق المولدة للغملة غير التناسلية إلى لذة " تمهيدية " تهيأ السبيل للنشوة التناسلية

ينظر : لابلائش و بونتايس : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ص ص 470،-475، 424، 469

53 - المرجع نفسه ، ص 209

54 - مصطفى المسناوي ،اللغة الخيالي والرمزي، ص 21 .

55 - بارت : درس السيميولوجيا ،ص 62.

56 - حسين خمري : نظرية النص، 276

57 - ميشال أرفيه وآخرون : السيميائية ، أصولها وقواعدها ،تر رشيد بن مالك ،منشورات الاختلاف، 2002، ص 92

58 -ينظر بارت : لذة النص، تر: فؤاد صفا و الحسين سحبان ، ص 58

59- حسين خمري : نظرية النص ،ص 259

60 -لابلائش : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ص 442

61 - بارت : لذة النص، تر: فؤاد صفا و الحسين سحبان ، ص 40

62 - حسين خمري : نظرية النص ، 256

63 - بارت لذة النص ، تر سحبان ، ص 58

64 - ينظر المرجع نفسه ، ص ص 35-36 ، 16

65 . نيتشه: أفول الأصنام ،تر حسن بورقية ومحمد ناجي ،ط1، افريقيا الشرق ،المغرب، 1996، ص ص 83، 84